المحاضرة الثانية: خصائص التفكير الفلسفي

1/ مفهوم التفكير

إن التفكير هو العملية التي تتم عبر سلسلة من النشاطات التي يقوم بها العقل حينما يتعرض لمثير حسي أو فكري، وهو عملية مجردة يشوبها الكثير من الغموض؛ حيث تنطوي على نشاطات غير مرئية وغير ملموسة، فما نلاحظه أو تلمسه منها هو في الواقع نواتج لفعل التفكير ذاته، سواء جاءت بصورة منطوقة في الكلام أو بصورة مكتوبة أو بصورة حركية.

2/ مفهوم التفكير الفلسفي

التفكير الفلسفي هو نشاط عقلي تأملي نقدي **عال** يهدف إلى الكشف عن العلل والمبادئ الأولى للأشياء والظواهر، والمعرفة، الحقيقة، القيم، العقل، اللغة، والواقع... مما يتطلب أحيانا تجاوز الإدراك الحسي للوصول إلى الحقيقة العقلية.

فالتفكير رغم تعدد أنماطه وتطبيقاته يشتمل حتما على بعد فلسفي واضح؛ لأنه ما إن يعمل المرء عقله في تأمل أي موضوع أو في محاولة حل أي مشكلة فهو هنا يبدأ التفكير الفلسفي أي يبدأ في التفلسف. ويختلف نمط التفكير الفلسفي الذي يمارسه تبعا للغاية التي يريد تحقيقها أو للهدف الذي يريد التوصل إليه، فإن كان الهدف حل مشكلة حياتية فهو هنا يمارس تفكيرا فلسفيا عمليا، وإن كان الهدف التوصل إلى حل مشكلة علمية فهو يفكر تفكيرا فلسفيا علميًا، وإن كان الهدف التوصل إلى حقيقة أي موضوع مجرد، مثل الحرية والنفس والألوهية ... إلى غير ذلك، فهو يفكر بطريقة فلسفية نظرية مجردة، وهذه هي أعلى درجات التفكير الفلسفي حينما ينتقل المفكر بعقله الواعي من محاولة تفسير أي شيء أو أي ظاهرة، أو حل أي مشكلة تنتمي إلى هذا الواقع المشاهد من حولنا، إلى التفكير في أي موضوع لا وجود له في هذا الواقع وله صفة التجريد والعمومية؛ إنه الانتقال من الفلسفة العملية أو العلمية إلى الفلسفة النظرية.

3/ خصائص التفكير الفلسفي

يتسم التفكير الفلسفي بعدد من الخصائص الجوهرية التي تمنحه خصوصيته وتميزه المنهجي والمعرفي ونذكر منها:

الدهشة:

الدهشة حالة عقلية نفسية تصيب الإنسان وتدعوه إلى التوقف عن اصدرا الأحكام اتجاه خبرة يمر بها للمرة الأولى ومن ثم فهي تعبر عن جهله المؤقت فيندفع متأملا وباحثا عن طبيعة هذه الخبرة . والتفكير الفلسفي يتميز بانه ينبثق من الحيرة والدهشة التي تدفعه إلى الانشغال بالبحث عن الأسباب البعيدة للظواهر الكونية والحياة والمعرفة والوجود، ولهذا عدت هذه الخاصية هي أولى أسس التفكير الفلسفي وأصوله ، فالدهشة اصل الفلسفة وينبوع التفلسف " ينقل الينا البصر منظر الكواكب والشمس وقبة السماء وهو منظر يدهشنا ويدعونا إلى تأمل الكون ومن هذا الاندهاش نشأت الفلسفة وهي اعظم خير وهبة الآلهة للإنسان الفاني "

التساؤل:

فالفيلسوف مهمته أن يطرح التساؤل في موضوعات مختلفة، وقضايا بسيطة ومعقدة، قد يراها الناس واضحة، أو يعتقدون بها اعتقادا ثابتا، الفيلسوف يطرح أسئلة عن مبادئ الأشياء وأصولها، عن المصير، والوجود والعدم والخير والشر، والحق والعدالة والظلم والجور. يسأل عن الحقيقة والمقصود بالحقيقة، وفي الإرادة الإنسانية ومدى حرية هذه الإرادة، عن العقل والذهن وعلاقته بالجسم، يسأل عن النفس، أصلها وعلاقتها بالجسد ومصيرها. يسأل عن الأشياء كيف تتغير في العالم. يسأل عن المعرفة، وهل هي ممكنة ؟ عن أصل المعرفة وطبيعة المعرفة وحدود المعرفة، يتساءل عن علاقة الذات بالموضوع، وعن مبادئ العقل وهل هي فطرية أم مكتسبة، عن الجمال والخير والأحكام، هل هي ذاتية أم موضوعية ؟

الشمولية والكلية

تعني الشمولية ان التفكير الفلسفي يمتاز بالكلية والعمومية معا مقارنة بالفكر العلمي الذي يمتاز بالتخصص ويكتفي بالبحث في المواضيع الجزئية للظواهر والقضايا . فالفلسفة هي محاولات لإدراك العالم في صورته الكلية وهو ما يتطابق وتعريف أرسطو لها حيث يقول" هي البحث في الوجود بما هو موجود " ، ومعنى هذا ان الفلسفة لا تتقيد بقسم واحد من الوجود كما تفعل العلوم وإنما تدرس جميع الموجودات بغض النظر عن تعييناتها (حية ، جامدة ، أرواح ، غيب) وعليه فان الفلسفة تكون تطمح من وراء ذلك إلى محاولة فهم المبدأ الذي بدأ منه الوجود وكذا الغاية التي سينتهي اليها.

الشك والنقد:

ويعد الشك صفة وخاصية فلسفية بامتياز وهو ما يؤكده التاريخ الطويل للفلسفة، حيث ان المواقف التي يخلص اليها أي فيلسوف هي بتأكيد نتيجة للشك في مواقف معاكسة ولابد من الإشارة هنا إلى أن مذهب أرسطو جاء كنقد لفلسفة أفلاطون والتشكيك فيها ، وأن فلسفة ديكارت جاءت كرد على نسق أرسطو ، ونفس الأمر ينطبق على كانط الذي انتقد بشدة فلسفة ديكارت ، وهيجل الذي انتقد كانط ، ونظريات كارل ماركس التي حملت بشدة على مثالية هيجل.

وهذا ما يعني ان التفكير الفلسفي ينبذ فكرة التسليم العشوائي بالأفكار دون الارتياب فيها . والشك الفلسفي لابد ان يكون شكا منهجيا غايته الوصول إلى الحقيقة والمعرفة اليقينية القائمة على الحجة والبرهان.

العمق : إذا كانت مهمة الفلسفة هي الإجابة عن القضايا الكبرى للوجود فهذا أنما يتطلب منها التحليل المعمق والبحث الجاد من خلال تجاوز الظواهر الحسية والمادية للوصول إلى العلل البعيدة والأصول الميتافيزيقية للأشياء.

المنهج:

إن التفكير الفلسفي يمتاز بالمنهجية والبعد عن العفوية حيث يتميز المنهج الفلسفي بمراحل وخطوات محددة يضعها الفيلسوف نفسه ، والمناهج الفلسفية تختلف باختلاف الفلاسفة او المذاهب الفلسفية وكأمثلة على ذلك نذكر : المنهج الشكي عند ديكارت ، المنهج الظواهري عند هوسرل ، المنهج التحليلي عند راسل... الخ ، إلا انه تبقى تشترك في صفة واحدة ألا وهي أن كل تلك المناهج ذات طابع تأملي عقلي ونقدي.

الاتساق: يرى أندري لالاند أن الاتساق يكون عندما يغيب التناقض والتعارض بين الأفكار و يعتبر الاتساق من أهم خصائص الفلسفة، فالفيلسوف وفيي لنسقه الفلسفي لاسيما في ميدان الأخلاق والسياسة والدين، فالتفكير الفلسفي تفكير منظم، والكثير من الفلاسفة ضحوا بحياتهم من أجل الدفاع عن أفكارهم وهذا ما مثله أحسن تمثيل الحكيم اليوناني سقراط.